مجلة وعي للعلوم الإنسانية
العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ١٥٣٩-١٥٦٧
مجلة وعي للعلوم الإنسانية
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

قداسةُ الإنْسَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) وأثرُها على التَّعايشِ السِّلْميِّ في المجتمع دراسة فكرية.

The Sanctity of the Human Being According to the Noble Prophet (PBUH) and Its Impact on Peaceful Coexistence in Society: An Intellectual Study.

الأستاذُ المساعد الدُّكتور أحمد حسن قاسم محمد.

Assistant Professor Dr.Ahmed Hassan Qasim.

كليَّة التَّربية للبنات/ جامعة الشطرة

ahmadhassan1981@shu.edu.iq

الملخص

تتأسس كرامة الإنسان في الفكر النبوي على مبدأ الاستحقاق الذاتي بمعزل عن لوازمه العارضة، حيث يمثل الإنسان المركز الحضاري في منظومة الخلق. وتتجلى هذه المكانة في النص القرآني الذي رفع من شأن 'بني آدم' وفضّلهم على كثير من المخلوقات تفضيلاً. وانطلاقاً من كون السنة النبوية هي التجسيد العملي والعدل الشارح لكليات الكتاب، فقد فصّلت الأطر التشريعية التي تضمن قداسة هذا الكيان؛ عبر سنّ القواعد التي تحمي الحقوق العينية والمعنوية، بدءاً من حق الحياة والأمان المالي، وصولاً إلى كفالة الحقوق الفكرية والاعتقادية.

Abstract

In Prophetic thought, human dignity is established upon the principle of 'intrinsic merit,' independent of any incidental attributes. Within this framework, the human being represents the civilizational center of the created order. This status is manifested in the Qur'anic text, which elevated the 'Children of Adam' and favored them above much of creation. Given that the Prophetic Sunnah serves as the practical embodiment and the explanatory counterpart to the universal principles of the Book, it has articulated the legislative frameworks that safeguard the sanctity of this being. This is achieved through the establishment of rules protecting both tangible and moral rights, ranging from the right to life and financial security to the guarantee of intellectual and creedal freedoms.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أشرفِ الأَنْبِيَاءِ والْمُرْسَلِينَ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وصَحْبه المنتجبين.

أختارَ الله تَعَالَى من سائر الخلق بعلمه الأزلي نبياً، قَالَ تَعَالَى: **{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}** [القصص : ٦٨]. وأناط به مسؤوليةَ الرِّسَالَة الإلهيَّة والتِّي جوهرها هو هداية الخلق إلى بر الأمان، وتضمَّنت- الرِّسَالَة الإلهيَّة- أسلوبي التبشير والانذار، قَالَ تَعَالَى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}** [سبأ : ٢٨]. ومتعلق الهَّدايَّة هو الإنْسَان، وهو الموضوع الحقيقي الرِّسَالَة الإلهيَّة وهي من تحمل عليه. وبدونه ينتفي الغرض منها كانتفاء الموضوع بالنَّسبة للقضية الحميلة، والتِّي عبَّر عنها المناطقة ب(السَّالبة بانتفاء الموضوع).

والإنْسَان بما هو إنسان بعيداً عن عوارضه ولوازمه التِّي تطرأُ عليه هو محطُ لطف الله تَعَالَى ورحمته، ومحل عنايته، بل هو المكرّم دونَ سواه من الخلق والمفضّل عليهم، قَالَ تَعَالَى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}** [الإسراء : ٧٠]. فالإنْسَان كيانٌ مقدسٌ في نظر الْقُرْآن الْكَرِيم. والسَّنة النَّبوية التِّي تمثل عدل الْقُرْآن الْكَرِيم في شرح كلياته وتفصيل مجملاته، قد بيَّنتْ كثير من التفاصيل المتعلقة بالإنْسَان، من قبيل ماله وعرضه ورأيه بل حتى معتقده،

وغيرها، ومن هنا انبثقت رغبي بأن أكتبَ بحثاً يحمل في طياته الحقوق التِّي اثبتها النَّبِيّ الأكْرَم (صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) من خلال احاديثه الشريفة وسيرته العطرة كواجب من الواجبات التِّي أقرها الإسْلاَم العظيم، والاثار السِّلْمية المترتبة عليها، لاختار لها عنوان "**قداسة الإنْسَان عِنْدَ النَّبِيّ الأكْرَم صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) وأثرها على التَّعايش السِّلْمي في المجتمع**" لما فيها من اهمية كما سأبينها من خلال البحث.

- **هدف البحث: يهدف البحث أمرين هما:**

١- بيان القيم الإنْسَانية التِّي يتضمنها المنهج النبوي في تعامله مع الإنْسَان الاخر، ومدى انعكاسه على المسلم.

٢- كشف زيف ممن ينتمي للإسلام ولم يفهم روحه السَّامِيَّة، وجعل منه بضاعة كاسدة، فنصب نفسه بدلا عن الله فحاسب النَّاس على مذاهبهم ومعتقداتهم واديانهم، فأختزل الجنة له ولمن يحب والنار لكل من يختلف معه.

- **اهمية البحث: تكمن اهمية البحث في امرين هما:**

١- الوقوف عظيم مكانة الإنْسَان عِنْدَ النَّبِيّ الأكْرَم وكل ما له صلة بالإنْسَان فهو محترم ولا ينبغي مساس به بشكل من الاشكال.

٢- افشاء روح المحبة والسلام بين النَّاس بغض النظر عن اختلافاتهم المذهبية والدينية والقومية، فهناك جامع مشترك اهم من تلك الاختلافات وهو "الإنْسَان".

- **مشكلة البحث: يمكن ان اطرح بعض الاسئلة أحاول الإجابة عنها من خلال البحث:**

١- هل الدين الإسْلاَمي يجيز قتل غير المُسلِم؟.

٢- لماذا هناك توجس عِنْدَ الاخر من الدين الإسْلاَمي؟.

٣- لِمَ تغَّيب المفاهيم السَّامِيَّة في الدين الإسْلاَمي ويرَّكز على السلبيات؟.

٤- ما مقدار تأسي المسلمون بنبيهم الَّذِي حارب كل مفاهيم الاساءة للأخر؟.

٥- أي المنهجين اكثر رواجاً عِنْدَ المسلمين منهج التسامح او منهج التناحر؟.

٦- كيف نفهم العلاقة المتلازمة بين احترام الإنْسَان والتَّعايش السِّلْمي في المجتمعات؟.

- **هيكلية البحث:** يتكون بحثي المقدم من مقدمة ومطالب وخاتمة وقائمة تضم اهم المصادر، وهي:
  - **المقدمة:** تناولت فيها سبب اختيار البحث وهدفه وأهميته وهيكليته.
  - **المطلب الأول:** الإنْسَان وقداسته الوجودية.
  - **المطلب الثاني:** الإنْسَان وقداسته الاجتماعية.
  - **المطلب الثالث:** الإنْسَان وقداسته الدينية.
  - **الخاتمة:** ذكرت فيها أهم النتائج التِّي توصلت إليها من خلال البحث.

وفي الختام أسال الله تَعَالَى أنْ يمَّدَ لي يدَ العونِ في إتمام مهمتي، وتكونَ هذه البضاعة المقدمة قنديلاً في محطات القصد لسبيل الله وطريقه. والحمدُ لله أولاً وأخراً.

التمهيد

أرسل الله سبحانه وتَعَالَى نبيه محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) إلى جنس الإنْسَان أجمع، بغض النظر عن اللون والعرق والاثنية، فهو نبي البشر دون العوارض الطارئة على ذات الإنْسَان كونه عاقلاً ناطقاً. قَالَ تَعَالَى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سبأ : ٢٨]. وهذه الرِّسَالَة الإلهيَّة أنيطت بالنَّبيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ)، في حقيقتها الرحمة الإلهيَّة للبشر التِّي تمثلت بشخصية النَّبيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) لذا قَالَ تَعَالَى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء : ١٠٧]، وهذه الرحمة الإلهيَّة العامة الشاملة انعكست في بعدين اساسيين من شخصية النَّبيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) في اداء رسالته ازاء البشر، وذهان البعدان هما متلازما لمفهوم الرحمة الشاملة وقد ذكرهما الله بمعية الرحمة. وهما:

الاول: الهَّدايَّة؛ وهي الصِّفة الأساسيَّة التِّي تلازمت مع الرَّحمة في تحقيق الغرض الَّذِي اريدت منه الرِّسَالَة الإلهيَّة، قَالَ تَعَالَى: **{فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ}** [الأنعام : ١٥٧]. فنلحظ بأنَّ الهَّدى قد قرُنت بالرحمة بوصفها انعكاس لمفهوم الرِّسَالَة.

والثاني: الْخُلُق الْحَسَن، هو البعدُ الأخر الَّذِي أنعكس من الرِّسَالَة المحمدية الَّذِي تجلى فيه مفهوم الرحمة الإلهيَّة وتلازم مع الْخُلُق الْحَسَن، والَّذِي شكل بعداً وأساساً في إيصال الدَّعْوَة والرِّسَالَة لجميع البشر، قَالَ تَعَالَى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}** [آل عمران : ١٥٩].

سعى النَّبِيّ الأكْرَم جاهداً في تحصيل غايته التِّي ابتعث من أجلها في هداية البشر اجمع، والتِّي انعكست على تعامله معهم ومكوثه فيهم. طيلة فترة دعوته الى الله تَعَالَى، فكان بحق الشخصية المثالية في تجلي هذا مصداق الرِّسَالَة وتطبيقها على الوَّاقع لذا امتدحه الله تَعَالَى على هذا الأساس قائلا: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم : ٤]. وبهذا التَّمهيد سأشرع بتقسيم البحث لثلاثة مطالب أتناول فيها الإنْسَان وما يتعلق به من أمور نظر اليها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بقداسة واحترام كونها تنسب إليه، وفق الرؤية النبوية التِّي تجلت في دعوته.

المطلب الاول: الإنْسَان وقداسته الوجودية.

يتناول هذا المطلب مكانة الإنْسَان وقداسته من حيث وجوده وقيمته الحياتية التِّي هي كحق طبيعي ينبغي ان يتمتع بها كإنسان، والنَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) جَاءَ ليحافظ عليها ويؤكد بان قيمة الإنْسَان الوجودية سامية وكل ما يتعلقُ بها والتِّي تعكس انسانيته السَّامِيَّة تسمو معه كانسان وليس لها سمو بالانتماء او التخندق الضيق. ومن هنا سأسلطُ الكلام على ثلاثة أمور مهمة تمثل القيم الحياتية لإنسان وفق الرؤية النبوية التِّي تعامل بها مع الإنْسَان، والقداسة الوجودية للإنسان هي:

اولا: دم الإنْسَان.

ثانيا: عقل الإنْسَان.

ثالثا: خطاب الإنْسَان.

هذه الْأُمُور الثلاثة تشكل جوهر الحقيقي لوجود الإنْسَان "دم الإنْسَان" تعني حياته الجسدية، "عقل الإنْسَان" تعني حياته الرَّوحية، "خطاب الإنْسَان" يعني حياته الفكرية، وهذه الْأُمُور الثلاثة قد حافظ عليها النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) في شريعته، وتعامل معها بتعامل واحد سواء كانت عِنْدَ الإنْسَان المسلم او غيره، كما سياتي ان شاء الله تَعَالَى.

اولا: دم الإنْسَان وقداسته.

لم يحرص احدٌ كحرص النَّبِيّ محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) على دماء النَّاس، فكان شَدِيدًا على اراقة بغير حق، ويظهر هذا المنهج النبوي في الحرب قبل السِّلْم، والحرب بطبيعتها يسودها روح الانتقام والانتصار ويريد منها الطرفين الانتصار باي شكل من الاشكال الا ان النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) تعامل بالروح الإنْسَانية المحبة للناس في كل مواطن حياته حربه وسلمه. فقد اوصى بكثير من الوصايا حتى بلغت وصاياه في الحجر والشجر، فقد جَاءَ وصيته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): "لجيش مؤتة: "**.ولا تَقْطَعَنّ شَجَرَةٍ وَلا تَعْقِرَنّ نَخْلًا ولا تَهْدِمُوا بَيْتًا**"(١). فما بالك بمن هو اعظم منها خلقا الإنْسَان البريء فهو مقدس وأذكر بعض ما قَالَهُ النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) في حرمة الدَّم.

قَالَ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): "**أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدَّماء، فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما، ثم الَّذِينَ يلونهما من أصحاب الدَّماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم النَّاس بعد ذلك حتى يأتي المقتول بقاتله، فيتشخب في دمه وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته؟ فلا يَسْتَطِيعُ أن يكتم الله حديثا**"(٢).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً: "**يجئ الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجئ**

(١) سنن البيهقي، كتاب: السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان، والكبير وغيرها، رقم الحديث: (١٨١٥٦).

(٢) فروع الكافي، كتاب الدِّيَات، باب: القتل، رقم الحديث: (٢).

الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: أي رب إن هذا قتلني، فيقول الله: لم قتلته؟. فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: فإنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه"(١).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**لا يزال قلب العبد يقبل الرغبة والرهبة حتى يسفك الدَّم الحرام، فإذا سفكه نكس قلبه، صار كأنه كير محم أسود من الذنب، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا**(٢)".

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم يسفك بغير حق**(٣)".

عن ابن عباس أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) خطب النَّاس يوم النحر فقَالَ "**يا أيها النَّاس أي يوم هذا**" . قَالَوا: يوم حرام(٤). قَالَ: "**فأي بلد هذا**". قَالَوا: بلد حرام(٥). قَالَ: "**فأي شهر هذا**". قَالَوا: شهر حرام(٦). قَالَ: "**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا**". فأعادها مرارا، ثم رفع رأسه فقَالَ: "**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت**"(٧).

قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**"(٨).

---

(١) سنن النسائي، كتاب: تحريم الدم، باب: تعظيم الدم، رقم الحديث: (٣٩٩٧).
(٢) كنز العمال، باب: قاتل النفس، رقم الحديث: (٣٩٩٥١).
(٣) شعب الايمان، البيهقي، باب: تحريم النفوس الجنايات عليها، رقم الحديث: (٤٩٦٠).
(٤) يوم النحر.
(٥) مكة المكرمة.
(٦) شهر ذي الحجة.
(٧) صحيح البخاري، كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، رقم الحديث: (١٧٣٩).
(٨) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم الحديث: (١٠٥).

والاحاديث اكثر مما ان تحصى هنا ولكن اختصرت على بعضها، لاستنتج منها الاثار التِّي ينبغي ان تنعكس على مبدأ التَّعايش السِّلْمي بين المجتمع كما اراده النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) لنا وهي:

١- بيَّن النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) خطورة دم الإنْسَان، وجعله من اولويات المحاكمة الإلهيَّة، بمعنى انه لا يوجد اخطر من دم الإنْسَان على الاطلاق.

٢- يريد النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) من بيان هذه خطورة دم الإنْسَان هو الحفاظ على الإنْسَان سالما من القتل لانه وجوده حي يعني الحياة باسرها وانعدامه انعدام الحياة باسرها، وهذا ما اكد عليه الْقُرْآن الريم في قوله تَعَالَى: **{أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاس جَمِيعًا}** [المائدة : ٣٢].

٣- الاثار المترتبة على دم الإنْسَان حيث ذكرها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) فهي رسم صورة مرعبة وهذا بدوره يكشف التداعيات التِّي تترتب على الدَّم. كما بين بان الدَّم لم يكن من الحقوق التِّي يمكن لله تَعَالَى ان يغفرها او يتنازل عنها يوم القيامة فهي حقوق شخصية لابد للمقتول ان يقتص من القاتل، وهذا اهمية وحجم الذنب.

٤- اخر ما وصى به النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) هو دم الإنْسَان بأسلوب ملفت للنظر جدا هو التكرار ثلاثة او يقول لهم: "**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**" و "**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت**" وهذا يكشف لنا الصَّورة المنفرة التِّي يريدها النَّبِيّ في ايصالها للناس.

٥- الغاية التِّي ترتجى من هذه الاحاديث والنهي الملزِّم من سفك دم الإنْسَان بصورته العامة، هو النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) يريد مجتمعاً تسوده روح المحبة والإنْسَانية بين افراده، فالقتل يؤدي الى نتائج وخيمة ويهدد السِّلْم الأهليّ بين النَّاس، ونحن نرى من خلال الواقع بان اذا قبيلتين قتل منها فردا فسيورث النعرات والثارات وربما لا يبقي ولا يذر، علاوة على هذا بان الإنْسَان بتكوينه

الالهي لا يحق لحد ان يعدمه الحياة، لذا قَالَ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): "**إنَّ هذا الإنْسَان بنيانُ اللَّهِ فملعونٌ مَن هدم بنيانَهُ**"(١).

ثانياً: عقل الإنْسَان وقداسته.

ميز الإنْسَان عن سائر الموجودات بقواه التفكيرية التِّي أخرجته من طور المادِّيَّة الحيوانية الى الارتقاء الكمالي وعلى اساسه وبه اصبح إنسانا مكرماً مستخلفا في الارض من قبل خالقه، وهذه القوة التفكيرية هي مستعدة لاستجابة الخطاب وتحليله وبعدها تتخذ النتائج، لذا قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً: "**أن الله عز وجل لما خلق العَقْل قَالَ له أقبل فأقبل، ثم قَالَ له أدبر فأدبر، فقَالَ تَعَالَى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أكرم علي منك، بك أثيب وبك أعاقب، وبك آخذ وبك أعطي**"(٢). والإنْسَان بدون هذه القوة لا يعد انساناً انساناً بمعناه الحقيقي المخاطب، وهذا ما ذكره النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): "**رفع القلم عن ثلاثة عن النَّائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق**"(٣). وهذه الْأُمُور التِّي ذكرها "النائم والصغير والمجنون" كلها ترجع إلى عدم أهلية العَقْل، وخلوهم من القوة التفكيرية السليمة التِّي من شأنها التَّحليل والاستجابة او الرَّفض.

اما المكانة التِّي منحها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) للعقل بصورته الكلية العامة فهي عظيمة وكبيرة. وأذكر نماذجاً.

قَالَ النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): قَالَ: "**أول ما خلق الله العَقْل**"(٤).

قَالَ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): "**خلق العَقْل من نور مخزون مكنون، في سابق علمه الَّذِي لم يطلع عليه نبي مرسل و لا ملك مقرب..**"(١).

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٥٥١.

(٢) بحار الانوار، المجلسي، كتاب: العقل والجهل، باب: حقيقة العقل وكيفيته، رقم الحديث: (٩).

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المعتوه والصغير والنائم. رقم الحديث: (٢٠٤١).

(٤) بحار الانوار، المجلسي، كتاب: العقل والجهل، باب: حقيقة العقل وكيفيته، رقم الحديث: (٨).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): **ما قسم الله للعباد شيئا أفضل من العَقْل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبيا ولا رسولا حتى يستكمل العَقْل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يضمر النَّبِيّ صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعَقْلاء هم أولو الالباب، الَّذِينَ قَالَ الله تَعَالَى:{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}**"(٢).

وعن الامام جعفر بن محمد الصَّادق (عليه السلام) عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) انه: "**اذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله، فإنما يجازى بعقله**"(٣).

ذكر المؤرخون وارباب السير:(٤) ان النَّبِيّ (صلى الله عليه وعليه واله وسلم) قد رزق من "مارية القطبية" ولدا اسمه "ابراهيم" في سنة الثامنة للهجرة، وكان عمره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) احدى وستين سنة. وابناؤه الَّذِينَ سبقوا ابراهيم كلهم دفنهم في التراب وهم: "الطاهر، والطيب، وعبد الله، والقاسم". ابراهيم البقية المتبقية تعلق به النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ)، ولم يلبث من العمر الا سنة وثمانية اشهر حتى مرض وتوفي، فحزن النَّبِيّ وبكى. تروي أسماء بنت يزيد قَالَت: بكى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) فقَالَ له: المعزى أنت أحق من عظم الله حقه. قَالَ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) "**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون**"(٥).

(١) الخصال، الصدوق، باب: العشرة، رقم الحديث: (٤).
(٢) أصول الكافي، كتاب: العقل والجهل، رقم الحديث: (١١).
(٣) أصول الكافي، كتاب: العقل والجهل، رقم الحديث: (٩).
(٤) ينظر: السِّيرة النَّبوية، ابن هشام: ج١، ص١١٤. تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٧٥.
(٥) سنن ابن ماجة، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في البكاء على الميت، رقم الحديث: (١٥٨٩).

واتّفق أن الشمس قد كُسفت في ذلك اليَوْم، الَّذِي تُوفي فيه إبراهيم، فقَالَ النَّاس: إنما انكسفت لموت إبراهيم، فقَالَ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): "**إن الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا وكبروا صلوا، حتى تنجلي**"(١). وقد صلى النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بالنَّاس، وبعد ما تم الصلاة أمر أمير المؤمنين بتغسيل ولده إبراهيم ودفنه(٢).

ومما تقدم نستفيد اموراً تتعلق بقيمة الإنْسَان العَقْلية، هي:

١- اكرم ما خلق الله في هذا الوجود هو الإنْسَان، واكرم شيء فيه العَقْل، فقد ابتدئ الله سبحانه وتَعَالَى بخلقه وأودعه القوة التَّميزية كما انه المسؤول المباشر عن سعادة صاحبه وتعاسته، وخيره وشره. وعليه اولى النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) اهتماماً بالغاً من خلال أحاديثه والتعامل مع من حوله في احترام هذه الخاصية التفكيرية. أكد النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بان العَقْل هو سرُّ الله وهذا السَّر لم يطلع عليه حتى الانبياء ولا الملائكة المقربين، وهذا يكشف المكانة السَّامِيَّة له وينبغي احترامه.

٢- بيّن النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بأنَّ التَّكليف مرفوع عن الإنْسَان بغياب عقله، وهذا يعكس مدى مكانة العَقْل في المنهج النبوي في اداء عمل الإنْسَان وحرية الاختيار.

٣- احترم النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) عقول النَّاس غاية الاحترام في حادثة موت ولده ابراهيم، فما اتفق من الظاهرة الكونية "كسوف الشمس" مع فقد ولد قد تساعده في توظيف ما يريده في هداية النَّاس والنَّاس بطبعهم ميالون الى الْأُمُور الغيبية، لكن النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) رغم جراح وألمه وحزنه بيَّن لهم بان "كسوف الشمس" ظاهرة كونية ليس لها

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب: الصلاة، باب: صلاة الكسوف، رقم الحديث: (٢٨٣٣).

(٢) بحار الانوار، المجلسي، كتاب: النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، باب: عدد اولاد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) واحوالهم، رقم الحديث: (٩).

علاقة بفقد ولد وما هذا الا احترام عقول النَّاس في احنك المواقف التِّي مره بها. قد حارب الخرافة التِّي أساسها تسخيف العقول وأراد للناس ان يفكروا كما خلقهم الله ومنحهم هذه القوة، واستخدامها بشكلها الصحيح، ولا سيما بأنَّ الله تَعَالَى حفز النَّاس كثيرا في الْقُرْآن الْكَرِيم على التفكر والتعقل وذم كل انواع التقليد ووصفهم بصم والبكم.

ثالثاً: خطاب الإنْسَان.

بُعث النَّبِيّ محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) في الجزيرة العربية، وقد خطاب قومه بلسان عربي الا دعوته ورسالته كانت عامة وشاملة لجميع النَّاس، فنجد الاسلوب النبوي لا يختلف عن الاسلوب الله تَعَالَى في الْقُرْآن الْكَرِيم، فهناك خطابات وجهت للناس عامة وهناك خطابات خاصة للمسلمين، وخطابات اخص منها للمؤمنين. ومما لا شك فيه بان لكل اسلوب من هذه الاساليب الثلاثة دلالاته الخاصة به ورمزيته المشيرة له. وما يهمني هنا هو الخطابات العامة والشَّاملة التِّي انتهجها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) في دعوته لمخاطبة النَّاس والدلالات التِّي يمكن ان نستفيد منها في توجيه المخاطب، فاذكر نماذجا منها.

قَالَ النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): "**يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**"(١).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): "**يا أيها الناس من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة**"(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد اذا رفع الى السلطان، رقم الحديث: (٦٧٨٨).

(٢) سنن البيهقي، كتاب: الصدقات، باب: لا يكتم منها شيئاً، رقم الحديث: (١٣١٧٢).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً: **يا أيها النَّاس إن النَّاس لم يعطوا في الدنيا خيراً من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عز وجل**[١].

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً: "**يا أيها النَّاس، وضع الله الحرج، ألا من أقترض من عرض أخيه قرضاً، فذلك الَّذِي حرج وهلك**[٢]"

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً: "**أيها النَّاس والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول**[٣] **عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة**[٤]".

وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً: "**يا أيها الناس أحسنوا الظن برب العالمين فإن الرب عند ظن عبده**"[٥].

استنتج مما تقدم من الخطاب العام الشامل للنبي الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) لإظهار القيمة الإنْسَانية، واثرها في السِّلْم المجتمعي.

١- الخطاب الَّذِي استعمله النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) "يا ايها النَّاس" يشمل جميع النوع الإنْسَاني، وهذا يعطي انطباعا واضحا بان النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) ليس ملكا خاصا للمسلمين فحسب بل هو للإنسان اجمع بغض النظر عن دينه ولونه واثنيته وغيرها من العوارض. فكان همه الإنْسَان كيف ان يخلصه من الظلالة وينجو به من الهلاك.

٢- الخطاب العام يشمل اليَّهود الَّذِينَ اذووا النَّبِيّ كثيراً وكان حجرا في طريقة الدَّعْوَة، الا ان النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) لم يستثنيهم من

---

(١) مسند احمد، مسند أبي بكر الصديق، رقم الحديث: (٣٨).
(٢) المعجم الاوسط، الطبراني، باب: الميم، رقم الحديث: (٦٣٨٠).
(٣) الخيانة.
(٤) دلائل النبوة، البيهقي: ج٥، ص١٩٦.
(٥) شعب الايمان، البيهقي، باب: الرجاء من الله تعالى، رقم الحديث: (٩٨١).

الخطاب انزلهم بمنزلة واحدة من المسلم باعتباره اناس، كذلك الخطاب العام يشمل المنافقين الَّذِينَ عانى منهم النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) ما عانى، فكذلك شملهم الخطاب ولم يستثنيهم. وهذا يعكس لنا مدى الخلق السَّامِيَّ الَّذِي يحمله النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) إزاء أعداءه فيتعامل معهم بكل لطف ورحمة ويدعوهم الى الفضائل الْأَخْلَاقِيَّة.

٣- الخطاب العام من النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) له اثر كبير في نفوس المسلمين وغيرهم في مبدأ التَّعايش السِّلْمي المجتمعي، لان الكل منهم هو موضوع الخطاب فالتزامهم بهذه القيم المتضمنة للخطاب ينعكس بلا شك على سلوكهم وتعاملهم في ما بينهم، وبالتَّالي يحد من ظاهرة الخلاف العقدي التِّي ربما ينطلق منها المسلم في تعامله مع الآخر، وكذلك تعامله الْأَخْلَاقي في البيع والشَّراء من الغش والتَّدليس وغيرها، فيحتم على المسلم ان يتعامل مع غير المسلم وفق الضوابط الْأَخْلَاقِيَّة التِّي أرادها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ).

المطلب الثاني: الإنْسَان وقداسته الاجتماعية.

ستناول القضايا الاجتماعية المتعلقة وأهميتها في التَّعايش السِّلْمي بين النَّاس وفق الهَّدي المحمدي، وسأذكر أهم هذه القضايا وهي ثلاث:

اولاً: النِّسَاءُ.

ثانياً: الْعَبِيدُ.

ثالثاً: الأَنْسَابُ.

أولاً: مكانة النِّسَاءُ الاجتماعية:

احتلت الْمَرْأَة مكانة رفيعة جداً عِنْدَ النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ)، وليس من المبالغة بشيء اذا اجزمتُ بان الْمَرْأَة لم تنصف إنصافاً عادلاً رحيماً انسانياً كإنصاف النَّبِيّ

الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) لها من جميع حيثياتها وشؤون حياتها وادوارها الاجتماعية. فانصفها النَّبيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) بوصفها امراة تقابل الرجل، فقَالَ: "**إِنَّما النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**"(١). فجعلها النَّبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) شقيقة الرجل من حيث انها انسان تساويه حقيقة ووجوداً، ولا يختلف وجودها الإنْسَاني عن وجوده اطلاقا.

وقد سما وجودهن مرة أخرى بوصف النَّبيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) لهن بالقوارير(٢)، واستوصى بهن خيراً(٣). وجعل حبه لهن اول اثنين من الدنيا، فقَالَ: "**مَا أحب مِنْ دنياكم إِلَّا النِّسَاءُ والطِّيب**(٤)". والأحاديث كثيرة الدالة على مكانة الْمَرْأَة وقداستها عِنْدَ النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ).

ولم يختصر النَّبيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) بيَّانه على مكانة الْمَرْأَة بصورتها العامة، بل اكد على أهمية أدوارها بوصفها الأم والزوجة والأخت والبنت.

فقد جَاءَ رجلٌ إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) فقَالَ: يا رسولَ الله، مَنْ أحقُّ النَّاس بحُسنِ صَحابتي؟. قَالَ: "**أُمُّك**"، قَالَ: ثم مَن؟. قَالَ: "ثم **أُمُّك**"، قَالَ: ثم مَنْ؟. قَالَ: "**ثم**

(١) سنن ابي داود، كتاب: الطهارة، باب: في الرجل يجد البلة في منامه، رقم الحديث: (٢٣٦).
(٢) عن أنس بن مالك: عن أم سليم أن سايقا كان يسوق بها في نسوة مع النَّبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) يقَالَ له أنشجة فقَالَ له النَّبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): "**رويدك يا أنجشة كذا سوقك بالقوارير**". المعجم الكبير، الطبراني، مسند: النساء، باب: من يعرف بالنساء بالكنى لمن لم ينتبه الينا اسماؤهن، رقم الحديث: (٢٩٤).
(٣) عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قَالَ "**استوصوا بالنِّسَاءُ خيراً فإنما هن عِنْدَكم عوان**". سنن ابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: حق المرأة على الزوج، رقم الحديث: (١٨٥١).
(٤) فروع الكافي، كتاب النكاح، باب: حب النساء، رقم الحديث: (٦).

أُمُّك". قَالَ: ثم مَن؟. قَالَ: "**ثم أبوك**"(١). وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**الجنة تحت اقدام الامهات**"(٢).

وقد بيَّن (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً القيمة الاجتماعية للمرأة كزوجة فقَالَ: "**فاتقوا الله في النِّسَاءُ، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله**"(٣).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**وما زال يوصيني بالْمَرْأَة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها**"(٤).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النِّسَاءُ إلّا كريم ولا أهانهنّ إلّا لئيم**(٥).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): "**إنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أُجِرَ**"(٦).

وكذلك بين المكانة السَّامِيَّة للمرأة بوصفها البنت والأخت، فعن حمزة بن حمران قَالَ: أتى رجل للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) فأخبر بمولود أصابه فتغير وجه الرجل، فقَالَ له النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) : "**مالك**"؟. فقَالَ: خير، فقَالَ: "**قل**"، قَالَ: خرجت والْمَرْأَة تمخض فأخبرت أنها ولدت جارية ، فقَالَ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ): "**الارض تقلها، والسماء تظلها، والله يرزقها، وهي ريحانة تشمها..**"(٧).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث: (٥٩٧١).

(٢) مسند الشهاب القضاعي: رقم الحديث: (١١٩).

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب: المناسك، باب: حجة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، رقم الحديث: (٣٠٧٤).

(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، كتاب: الوضوء، باب: السواك، رقم الحديث: (١٠٨).

(٥) الجامع الكبير، السيوطي، قسم الاقوال، رقم الحديث: (١٤٠٠٦).

(٦) مسند أحمد، مسند الشاميين، رقم الحديث: (١٧١٥٥).

(٧) فروع الكافي، كتاب: العقيقة، باب: فضل البنات، رقم الحديث: (٦).

وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "**نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مؤنسات مباركات مفليات**[١]"[٢].

وقَالَ (صلى الله عليه واله سلم) أيضاً: "**من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة**"، فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقَالَ: "**واثنتين**"، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقَالَ: "**وواحدة**".[٣]

يمكن أنْ أستنتجَ بعض الْأُمُور هي:

١- لو نظرنا الى واقع الْمَرْأَة قبل النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) ومكانتها في المجتمع الَّذِي سبق مجيء الإِسْلاَم، لاتضح جليا المكانة السَّامِيَّة التِّي جعلها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) للمرأة، وكيف رفعها سموا وارتقاء نحو الإِنْسَانية. فكانت الْمَرْأَة قبل بزوغ شمس الإِسْلاَم في حال لا يحسد عليه فهي تتعرض لكل صور الاهانة الاجتماعية من بيع وشراء وإرث فضلا عن ظاهرة الدفن. فأراد النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) من خلال احاديثه الكثيرة وسيرته العلمية ان يقول لهم: الْمَرْأَة انسان كما انت ايها الرجل انسان لا تختلف عنك إلا في الدور والوظيفة، فكل منكما له حقوق وعليه واجبات. وهذا لا يعني بأنْ تصادر إنسانيتها وينحط من قدرها الاجتماعي. كلا، فهي شقيقته ونظيرته.

٢- ابدع النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) في وصفه للمرأة، وعبر عنها بصورة فنية رائعة تعكس الرقة واللطافة موجودة فيها. فوصفه بالقارورة فهي الاناء الرقيق الَّذِي يحتاج الى تعامل خاصة وكسره لا يرجعه الى ما هو عليه. واخرى بالريحانة التِّي تشمل اللطافة في شمها وتعامل معها. هذه الصور وغيرها تكشف لنا المكانة التِّي منحها الدين الإِسْلاَمي لها، عكس ما يشاع

(١) أي مجهزات إذا أراد الاب خروجاً.

(٢) فروع الكافي، كتاب: العقيقة، باب: فضل البنات، رقم الحديث: (٥).

(٣) فروع الكافي، كتاب: العقيقة، باب: فضل البنات، رقم الحديث: (١٠).

ويروج له في عصرنا الحالي من فك الْمَرْأَة من القيود وسيرها نحو الحرية، فكثير منهم تعاملوا معها على انها "رائج اعلاني" او وسيلة للجذب الاخر وكلاهما الهَّدف منه جني المال على حساب مشاعرها وأحاسيسها.

٣- اذا تعامل الاب والزوج والاخ مع ما يحيطه من نساءه وكان تعامله وفق ما يريده النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) ستتنعم اسرته بحياة هانئة كريمة تسودها المحبة والسعادة، وبالتالي تنعكس هذه الايجابية على المجتمع لان الاسرة مجتمع مصغر.

٤- يوجد مسافة شاسعة بين ما يريده النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) للمرأة وبين ما يريده الكثير من المسلمين في تعاملهم ونظرتهم لها، فاصبح الإِسْلاَم مرمى لكثير من الاشكالات والشَّبهات التِّي تأثر حوله ازاء الْمَرْأَة، وهذا كله يراجع الى تصرفات بعض المسلمين الَّذِينَ لم يطبقوا ما أراده النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) حقيقة وعملاً.

ثانياً: مكانة الْعَبِيد الاجتماعية.

لم يكن الْعَبِيد احسن حالا من الْمَرْأَة قبل مجيء الإِسْلاَم، فكان حالهم مأساويا بكل ما لهذه الكلمة من معنى، فهم سلعة رائجة تشكل اس تجارة رؤوس الاموال، وعملة اقتصادية ضخمة بنيت عليها المجتمعات الشرقية والغربية من الصين واليونان والرومان. واسباب الرق كثيرة منها: الاستبداد السياسي، والفقر، والقوانين الوَّضعية التِّي شملت عدم الوفاء بالدين او السرقة وغيرها، والله تَعَالَى ذكر لنا شريعة مصر، قَالَ تَعَالَى: **{قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}** [يوسف : ٧٥]. جَاءَ النَّبِيّ الأكْرَم ليغير هذا الواقع المرير ولكن من المستحيل ان غيره دفعة واحدة، فاعتمد على اساليب كثيرة للحد من هذه الظاهرة المستشرية. اختصرها بخمسة.

أ- **المعاملة الحسنة:** اعتمد النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) اسلوب التَّعايش مع الواقع بشرط الرفق والعطف، فقَالَ: "**إخوانكم خولكم**[١]،

(١) الَّذِينَ يخولون أموركم أي يصلحونها من الْعَبِيد والخدم.

جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"[١].

ب- **الحماية:** جعل النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) الحصانة الكاملة لحقن دمائهم بعد ما هدرت، فقَالَ "**من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه**"[٢].

ت- **التَّرغيب:** استخدم النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) اسلوب الترغيب في الثواب، فقَالَ: "**من أعتق رقبة فهي فداء من النار، كل عضو منها فداء عضو منه**"[٣].

ث- **الكَفَّارات:** طبق النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) نظاماً رائعاً في العتق هو المخالفات في الأَحْكَام الشَّرْعيَّة، وطبق في القتل الخطأ، والظهار، واليمين، تعمد الافطار في شهر رمضان، واحكام الحج وغيرها.

ج- **التَّقريب:** فقرب النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بعض الْعَبِيد لهم، مثل تبني زيد بن حارثة[٤]، وبلال الحبشي،[٥] وغيرهم[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الايمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، رقم الحديث: (٣٠).

(٢) سنن النسائي، كتاب: القسامة، باب: القصاص في السن، رقم الحديث: (٤٧٥٣).

(٣) الامالي، الطوسي، المجلس السابع، رقم الحديث: (٨).

(٤) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، ربيب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) ومن أوائل المسلمين، وهو الصحابي الوحيد الَّذِي ذكره الله في القُرْآن الْكَرِيم، ذهب مع أمه في زمن الجاهلية لزيارة أهلها، فأغارت خيل لبني القين، ومروا على بيوت بني معن فأسروه، وهو غلام صغير، وقد باعوه بسوق عكاظ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد، فلما تزوجها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أهدته له فأعتقهُ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) وتبناه، وذلك قبل أن يُوحى إليه. ينظر: انساب الاشراف، البلاذري: ج١، ص٤٧٦.

(٥) بلال بن رباح الحبشي، صحابي ومؤذن للنبي الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات وتوفي في دمشق عام ٢٠ هـ، وهو من الأوائل الَّذِينَ دخلوا الإِسْلاَم. كان مولىً لبني "جُمَح" من قريش، أعلن إسلامه فعذّبه أميّة بن خلف، حتى اعتقه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ)، كان أميناً لبيت المال ومشاركاً في جميع الحروب، كلّفه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بمهمّة الأذان. بقي طوال

ويمكن أنْ أستنتج أمرين هما:

١- سعى النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) القضاء على كل مظاهر التَّمييز الطَّبقي الَّذِي ينعكس سلباً على الحياة الاجتماعية، فاستخدم كثيرة من الأساليب التِّي من شأنها ان تبسط العدالة الاجتماعية وتساعد على انهاء هذا التمييز الطبقي، وقد حققت هذه الأساليب نجاحا رائعا في الحد من هذه الظاهرة الرائجة.

٢- يجدر بالذكر ان النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) هذه القيم الاجتماعية التِّي رفعها قد طبقها على نفسه، فقد قرب الكثير من الْعَبِيد الى رحبته وهو يمثل أعلى سلطة شريعة وسياسية. وهذا مدعاة ان يتأسى المسلمون بنبيهم في سيرته الْأَخْلَاقيَّة والاجتماعية.

ثالثا: الأَنْسَابُ.

من الْأُمُور السَّائدة عِنْدَ العرب هو التفاخر بأنسابهم، وسببه انهم مجموعة قبائل يكثر فيها القتال والسَّطو فيما بينهم فتظهر ملامح رجالهم في تلك المشاهد. وكذلك نزوح بعض الافراد والمجموعات إلى القبائل صاحبة الارض مما جعل يصنفوا على انهم أصلاء وغيرهم دخلاء. وكذلك يعتقد العرب كأثنية انهم أفضل من العجم. هذه الْأُمُور وغيرها جعلت من الأبناء يتفاخرون بآبائهم وأجدادهم على الاخرين.

حياة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) مؤذّناً خاصّاً له في سفره وحضره، ولم يؤذن بعد وفاة النبي إلا بموارد قليلة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٢، ص١٦٠ وما بعدها.

(١) قال اليعقوبي في تاريخه، ج٢، ص٧٥: "وأعتق -أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم- جماعة عبيداً وإماء منهم: زيد بن حارثة بن شراحيل وأسامة بن زيد وأبو رافع، قبطي أهداه له المقوقس، وأنسه، وكان حبشياً، وأبو كبشه، وكان فارسياً، وأبو لبابة وأبو لقيط وأبو أيمن وأبو هند ورافع وسفينة وثوبان وصالح، وهو شقران، وأم أيمن حبشية كان أبو طالب خلفها عليه واسمها بركة، ويقال خضرة".

هذه النزعة النفسية المتجذرة الداعية للتميز الطبقي بين المجتمع، حاربها النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) وحاول استئصالها من نفوس النَّاس، وقد وصفها بانها آفة، فلذا قَالَ: " **آفة الحسب الافتخار**"(١).

وقد وصفها أيضاً بانها نخوة الجاهلية، فقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ): " **إيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها ألا إنكم من آدم عليه السلام وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه، إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه، ألا إن كان دم كان في الجاهلية أو إحنة –الاحنة الشحناء– فهي تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة.**"(٢).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) أيضاً:" **لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الَّذِينَ ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله عز وجل من الجعل الَّذِي يدهده الخرء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، النَّاس بنو آدم، وآدم خلق من تراب**"(٣).

وقد روى الامام الصادق (عليَّه السَّلام) بأن رجلاً أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقَالَ: يا رسول الله أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة، فقَالَ له رسول الله (صلى الله عليه وآله): "**أما إنك عاشرهم في النار**"(٤).

وعلى ما تقدم يمكن ان استنتج امرين هما:

١- الأساس الَّذِي انطلق منه النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) في دعوته الإلهيَّة هو التزكية وتنقية القلوب من حمية الجاهلية التِّي مزقت شتاتهم، وانتجت فروقات مجتمعية قاسية بينهم، فجَاءَ النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ) بمعاير

(١) أصول الكافي، كتاب: الايمان والكفر، باب: الفخر والكبر، رقم الحديث: (٦).
(٢) الروضة، الكليني، حديث: القباب، رقم الحديث: (٣٤٢).
(٣) الترغيب والترهيب، المنذري، كتاب: الادب وغيره الترغيب في الحياء، رقم الحديث: (٤٤٣٢).
(٤) أصول الكافي، كتاب: الايمان والكفر، باب: الفخر والكبر، رقم الحديث: (٥).

تختلف عن معاييرهم، وهي العدالة الاجتماعية والغاء الطبقية والمعيار الحقيقي في التمايز هو تقوى الله تَعَالَى ودونه خرط القتاد.

٢- هذه الفوارق الاجتماعية التِّي مر ذكرها تعكس الوَّاقع الَّذِي تعاملوا به مع الإنْسَان، كما تبين موقف النَّبِيّ الأكْرَم (صلى عليه واله وسلم) منها وكيف أنعكس على مكانة الإنْسَان وقداسته في النَّهج النبوي، والإنْسَان هو أولى من كل الاعتبارات الاخرى.

المطلب الثالث: قداسة الإنْسَان الدينية.

انتماء الإنْسَان الى الدين يعني العقيدة التِّي ينطلق منها في تأسيس ايمانه الراسخ فيه، وعليه فالعقيدة الدينية هي تساوي وجوده. فالإنْسَان يضحي بوجوده ازاء ما يؤمن به ويعتقد. وهذه العقيدة قد تكون هي اقوى رابطة تربط ابناء الإنْسَان بعضهم ببعض الاخر. فهي تذيب كل الفوارق الموجودة بين ابناء البشر، وقد تقدم على الانتماءات الاخرى. وبغض النظر عن صلاح العقيدة وفسادها، فالأساس فيها هو الاذهان لها والتسليم بها.

واحترام عقيدة الاخر لا تعني الاقرار بها والحكم بصحتها بل هي تحترم لاحترام صاحبها بوصفه كائن مقدس، والاساءة لها تعني اساءة لصحابها لأنها تساوق وجوده المعرفي والإيماني كونها نتجت عن قناعة راسخة. كما لا ينبغي ان يكره احد على عقيدة معينة او دين ما. قَالَ الله تَعَالَى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة : ٢٥٦]. وتعليل ذلك بان الاكراه والجبر لا ينتج عقيدة راسخة إيمانية، وان الدِّين لا يمكن ان يتعلق به اكراه، لأنه من شؤون القلب الخارجة عن القدرة، تماماً كالتَّصورات الذَّهنية، وانما يتعلق الإكراه بالأقوال والأفعال التِّي يمكن صدورها عن ارادة القائل والفاعل، ولذا الآية الشريفة جَاءَت بصيغة الاخبار(١).

ومن هنا نجد بان النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) تعامل مع هذا الامر في منتهى الاحترام، وهذا الاحترام نابع من احترامه للإنسان التِّي هو اقدس موجود في نظر

(١) الكاشف، مغنية، ج١، ص٣٩٦.

نهج النبوي. فنجد سيرته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) وأقواله تدل على الإنْسَان مهما اختلفت فكره وانتمائه وعقيدته يبقى محترم كريم.

فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قَالَ كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما. فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة فقَالَا: إن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) مرت به جنازة فقام فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقَالَ: "**أليست نفسا**"(١).

والمعاهدون من اليهود والنصارى يسمون ب"اهل الذمة" الَّذِي يعيشون في ارض المسلمين. فانزلهم النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) منزلة المسلمين، فقَالَ: "**من قتل معاهدا بغير حق لم يرح رائحة الجنة وانه ليوجد ريحها من مسيرة اربعين عاما**"(٢).

وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أيضاً: "**ألا من ظلم معاهدا وانتقصه وكلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة**" وأشار رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بإصبعه إلى صدره.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء ابنة أبى بكر قَالَت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش، إذ عاهدوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) ومدتهم، مع أبيها، فاستفتت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) فقَالَت: يا رسول الله، إن أمي قدمت علي، وهي راغبة، أفأصلها قَالَ: "**نعم، صليها**"(٣).

وعن عن جابر بن عبد الله الانصاري قَالَ: أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) لما بلغه موت النجاشي قَالَ: "**صلوا على أخ لكم مات بغير بلادكم**". قَالَ فصلى عليه رسول الله

(١) صحيح البخاري. كتاب: الجنائز، باب: من قام لجنازة يهودي، رقم الحديث: (١٣١٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجزية، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم الحديث: (٣١٦٦).
(٣) صحيح البخاري، كتاب: الجزية، رقم الحديث: (٣١٨٣).

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) فصفنا صفوفا قَالَ جابر: وكنت في الصف الثاني أو الثالث قَالَ وكان اسم النجاشي أصحمة(١).

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الانصاري أيضاً قَالَ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) حين مات النجاشي: "**مات اليَوْم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة**"(٢).

وجَاءَ عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن حزام أنه مر بأناس من أهل الذمة قد أقيموا في الشمس بالشَّام، فقَالَ: ما هؤلاء قَالُوا: بقي عليهم شيء من الخراج. فقَالَ: إني أشهد أني سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) يقول: "**إن الله عز وجل يعذب يوم القيامة الَّذِينَ يعذبون النَّاس**"(٣).

وعلى وفق ما تقدم استنتج اموراً هي:

١- عانى النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) أقسى المعاناة وأمرَّها من اليهود، فسببوا كثيرا من الفتن والحروب، فكانوا حجرا في طريق المسلمين والدَّعْوَة النبوية. ولكن النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) كان حريصاً غاية الحرص بان يهديهم الى طريق الصواب. فكان يعودهم اذا مرضوا ويعرض، ويعرض عليهم الإِسْلاَم نجاة لهم، ويأسف عليهم إذا ماتوا ما ذلك الا احتراما منه لانهم انسان.

٢- تعامل النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بإمضاء أحكام وتشريعات الدَّيانات الخاصة بمعتنقيها ممن دخلوا الإِسْلاَم وحكم بصحتها ولا ينبغي اعادتها وفق الشريعة الإِسْلاَمية، فالزواج في أي ديانة هو صحيح وماض اذا اراد المتزوج ان يدخل الدين الإِسْلاَمي وكذلك الطلاق، والغاء جميع الأَحْكَام

(١) سنن البيهقي، كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على الميت الغائب بالنية، رقم الحديث: (٧٠٢٨).
(٢) صحيح البخاري، كتاب: مناقب الانصار، باب: موت النجاشي، رقم الحديث: (٣٨٧٧).
(٣) مسند أحمد، مسند: المكيين، رقم الحديث: (١٥٣٣٠).

التِّي ارتكبت قبل الإِسْلاَم والتِّي من شأنها ان يعاقب عليها الدين الإِسْلاَمي من الرجم والتعزيز وغيرها. بقول النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) "**الإِسْلاَم يجب ما قبله**"(١).

٣- اجلى صورة للتعايش السِّلْمي المجتمعي بين افراده هي "اهل الذمة" او ما يسمون ب"المعاهدين". وهم مجموعة من ديانات مختلفة يعيشون مع المسلمين ويشتركون في الحقوق والواجبات. وضمن لهم النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) جميع حقوقهم الدينية والفكرية والاجتماعية وكل من تعرض لهم بسوء فهو خصيم النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بقوله: "**فانا حجيجه يوم القيامة**". ولم ينحصر مع اهل الذمة فقط بل حتى المشركين الَّذِي حاربوا الإِسْلاَم، وقد ذكرت خبر اسماء عِنْدَما استفت النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) في صلة امها. فأجابها: ""**نعم، صليها**". هذا التعامل النبوي ينبغي ان يكون منهجاً في التَّعايش السِّلْمي للمجتمع.

٤- عبّر النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) عن اصحمة النجاشي عِنْدَ موته بانه "**صلوا على أخيكم أصحمة**" وهذا التعبير فيه بعد كبير وعميق. كيف عبر النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) بان المسيحي هو اخوكم، هذا درس عال المضامين بان الإِنْسَانية والموقف هي الجامع المشترك بين النَّاس، الصلاح يكون بها والنجاة عليها.

٥- تبقى مسألة الاديان والاعتقاد بها هي مسألة نابعة من قناعة الانسان نفسه فلا يجوز ان يكره على الاعتقاد بدين معين او مذهب معين، وهذه المسألة أرادها الله تعالى للإنسان كي يختار بنفسه ولا يعترض على الله تعالى يوم القيامة بأنه مجبر او مكره، فأوكله الله تعالى للإنسان نفسه، قال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [يونس : ٩٩].

(١) معرفة الصحابة، الاصبهاني، ج٣، ص٣٩٠.

الخاتمة

في ختام هذا السبر الفكري لآفاق السيرة النبوية العطرة، واستنطاقاً لمضامين الأثر النبوي -قولاً وفعلاً- يمكن بلورة أهم النتائج التي انتهت إليها الدراسة في النقاط التالية:

أولاً: الأديان جَاءَت لتخدم الإنْسَان وترفع من شأنه لا ان تحطه او تستعبده، فكل ما هو فيه استعباد له او قمع او كبت لحريته او واقصاءه فهو دين ليس مصدره الله وانما البشر احتال لغير ما فيه وفق الاهواء النفسية والمنافع الشخصية، وعليه فالدين الإِسْلاَمي الَّذِي جَاءَ به النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) اكرم الإنْسَان غاية التكريم وجعل منه قطبا وما سواه يدور حوله. وكل ما يقول خلاف هذا فهو لم يعرف ماهية الدين ومراده.

ثانياً: الدين الإِسْلاَمي الَّذِي جَاءَ به النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) لم يكن شعار يرفع او طقوس تمارس، هو اقرار بالحقيقة التِّي يريدها الله تَعَالَى منا كمسلمين، وهذا ما اوضحه النَّبِيّ الأكْرَم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ) قائلا: "**المسلم من سلم النَّاس من لسانه ويده والمؤمن من آمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم**"(١). فهذا هو المعيار الحقيقي الَّذِي خطه النَّبِيّ الأكْرَم لفهم حقيقة الإِسْلاَم والايمان به.

ثالثاً: الضمانة الحقيقة لحفظ التَّعايش السِّلْمي هو الدَّين وفهمه بصورته الحقيقية، لان في الدين بعدا روحيا ينبغي الايمان به وهذا الايمان هو الحائل بين الفرد ووقوع في المخالفة. وهذا ما يميز الدين عن القوانين الوضعية فالفرد الَّذِي يؤمن بالقانون الوضعي لا يخالف للقانون الَّذِي التِّي يراقبه ويحاسبه، فاذا اختلى بنفسه ربما يرتكب ما منع عنه، وهذا ما نراه كثيرا في الدول المتحضرة الاوربية والامريكية بمجرد ان يغيب القانون عنهم يظهر بعضهم

(١) سنن النسائي، كتاب: الايمان وشرائعه، باب: صفة المؤمن، رقم الحديث: (٤٩٩٥).

على الحقيقة الكامنة لان الحائل قد زال. بينما المؤمن يرى الله في كل شيء يقدم عليه، وهذه الرؤية تجعل منه إنساناً سوياً في كل احواله، ويخلق منه نموذجاً صالحاً في المجتمع، وهذا كله من العوامل المؤثرة في اصلاح المجتمع وسلامة التَّعايش السِّلْمي.

رابعاً: للأسف إنَّ الصَّورة الرائجة عن الدين الإِسْلاَمي هو دين التعصب ويقف من الاخر موقفا سلبيا، والحقيقة عكس ما قيل تماماً، فالإِسْلاَم دين محبة وتسامح، ولكن هذه الصَّورة وغيرها أتت من سلوك الَّذِينَ يدعون الإِسْلاَم كذبا وزوراً.

قائمة المصادر

خير ما نبتدأ به الْقُرْآن الْكَرِيم.

١- **الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان: (مؤسسة الرسالة- بيروت)، ط١، ١٩٨٨م.
٢- **أصول الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني، (مؤسسة التاريخ العربي- بيروت)، ط١، ٢٠٠٥م.
٣- **الامالي**، محمد بن الحسن الطوسي: (دار الكتب الاسلامية- طهران)، ط١، ١٣٨٠ه.
٤- **بحار الانوار الجامعة اخبار الائمة الاطهار**، محمد باقر المجلسي: (دار احياء التراث العربي- بيروت)، ط٣، د.س.
٥- **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب الاخباري: (منشورات المكتبة الحيدرية- النجف الاشرف)، ط١، ١٩٦٤م.
٦- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط١، ١٤١٧ه.
٧- **الجامع الكبير**، جلال الدين السيوطي: (الازهر الشريف- القاهرة)، ط٢، ٢٠٠٥م.
٨- **جمل انساب الاشراف**، أحمد بن يحيى البلاذري: (دار الفكر- بيروت)، ط١، ١٩٩٦م.
٩- **الخصال**، محمد بن علي بن بابوية الصدوق: (دار المرتضى- بيروت)، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أحمد بن الحسين البيهقي: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط١، ١٤٠٥ه.
١١- **الروضة**، محمد بن يعقوب الكليني: (منشورات الفجر- بيروت)، ط١، ٢٠٠٧م.
١٢- **سنن ابن ماجة**، محمد بن يزيد بن ماجة: (دار احياء التراث العربي- بيروت)، د.ط. د.س.
١٣- **سنن ابي داود**، ابو داود سليمان بن الاشعث: (المكتبة العصرية- صيدا)، د.ط. دس.
١٤- **السنن الصغرى**، حمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي: (مكتبة المطبوعات الاسلامية- حلب)، ط٢، ١٩٨٦م.
١٥- **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط٣، ٢٠٠٣م.
١٦- **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: (دار احياء التراث العربي- بيروت)، ط١، ٢٠٠٦م.
١٧- **السِّيرة النَّبوية**، عبد الملك بن هشام: (مؤسسة النور للمطبوعات- بيروت)، ط١، ٢٠٠٤م.
١٨- **شعب الايمان**، أحمد بن الحسين البيهقي: (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض)، ط١، ١٤٢٤ه.
١٩- **صحيح البخاري**، محمد بن اسماعيل البخاري، كتاب: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط٦، ٢٠٠٩م.
٢٠- **فروع الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني: (منشورات الفجر- بيروت)، ط١، ٢٠٠٧م.
٢١- **الكاشف**، محمد جواد مغنية: (دار الانوار- بيروت)، ط٤، د.س.
٢٢- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، جار الله محمود الزمخشري: (دار الكتاب العربي- بيروت)، ط٣، ١٤٠٧ه.
٢٣- **كنز العمال في سنن الاقوال والافعال**، علي بن حسام الدين الهندي: (مؤسسة الرسالة- بيروت)، د.ط، ١٩٨٩م.
٢٤- **مسند الامام أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: (مؤسسة الرسالة- بيروت)، ط١، ٢٠٠١م.

٢٥- **مسند الشهاب**، حمد بن سلامة بن جعفر القضاعي: (مؤسسة الرسالة- بيروت)، ط٢، ١٩٨٢م.
٢٦- **المعجم الاوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: (دار الحرمين- القاهرة)، د.ط، د.س.
٢٧- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: (دار الصميعي- الرياض)، ط١، ١٤١٥ه.
٢٨- **معرفة الصحابة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٩- **من لا يحضره الفقيه**، محمد بن علي بن بابويه الصدوق: (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات- بيروت)، ط١، ١٩٨٦م.